سينما

«خوف» بلغاري ينقضه الحبّ

سخرية محبولة بالسوداوية

في «خوف»، يختار إيفايلو خريستوف السخرية المحبولة بسوداوية خفيفة، أسلوباً لعرض المشهد السينمائي لبلغاريا في عصر الهجرات العظيمة

فيس قاسم

«خوف»: سخرية سوريالية عن راهنٍ قاسٍ (الملف الصحافي للفيلم)

يعتصر البلغاري إيفايلو خريستوف (1955) آخر القطرات المتبقية من المعنى الكامن لعبارة «الخوف من الآخر»، ويحيلها إلى نصّ سينمائي مستفزّ، وينثرها على الشاشة بالأسود والأبيض، موزّعاً البطولة بين رجل أسود غريب وامرأة بيضاء بلغارية، وموغلاً في مكاشفة صريحة مع الذات، يعطيها عنواناً مُشعّاً بالمعنى: «خوف» (2020).

خوفٌ من المختلف يترسّب في ذاتِ البلغاريّ، ولا بدّ من عرضه أمام عينيه. يختار خريستوف، الفنان مُتعدّد المواهب (كاتبٌ ومسرحيّ وممثّل ومخرجٌ سينمائي) السخرية، المجبولة بسوداوية خفيفة، أسلوباً لعرض المشهد السينمائي لبلغاريا في عصر الهجرات العظيمة، والتحوّلات السياسية الناقصة، ما يُذكّر بأسلوب الصربي أمير كوستوريتزا، الذي يتّخذ غالباً من قرى في شرق أوروبا مسرحاً لسرد حكايات بسيطة وعميقة المعنى، يمتزج فيها السوريالي بالواقعي.

في المُنجز الأخير لإيفايلو خريستوف، الفائز بحائزة أفضل فيلم روائي بلغاري طويل في الدورة الـ38 (24 سبتمبر/ أيلول . 1 أكتوبر/ تشرين الأول 2020) لـ«مهرجان الوردة الذهبية»، يكون المكان قريةً حدودية بين تركيا وبلغاريا، تجعلها الأقدارُ ممرّاً لمُهاجرين عابرين إلى المجهول.

في ذلك المكان، المؤثّث طبيعياً ومن بعض تدخّل بشري، تختلط الغابات والحقول، التي يُجمِّد البرد زرعها، بسكّانٍ قليلي العدد، كأنّهم ينبتون فيها على عجَل، فيُقيمون لهم مدينة صغيرة تكاد تكفي لتوارث ما جُبلوا عليه من عادات وأفكار. يُؤرّط التاريخ سكانها بما لا يتحمّلون ثقله: الديمقراطية، والمجتمع المدني الجديد، والتوافق مع شروط رأسمالية لم تصلهم بعد. تُزيد الهجراتُ المارّة بهم التباسَ مواقفهم من الآخر العابر، وخوفهم منه، وتكشف أيضاً عن انكفائهم وعنصريّتهم.

يُعرّي «خوف» خوفاً داخلياً أكبر من الوصول المؤقّت للمهاجرين إلى قريتهم، تُجسّده المعلّمة الوحيدة في مدرسة القرية، سفيتلا (سفيتلانا ياتشيفا)، التي أغلِقت أبوابها لقلّة الدارسين فيها، فأصبحت . بسبب الإغلاق . عاطلة عن العمل. مقاومتها للخنوع، وتدبير شؤونها لوحدها، يثيران حنقاً ذكورياً وغيرة أنثوية. ومع وصول الغريب الأسود بامبا (مايكل فليمنغ) إلى بيتها، يتكشّف الخوف من وجود كائن بينهم، لا يستجيب للشروط السائدة للتوافق.

يُسَخّر خريستوف معارفه الفنية لتجسيد مخاوف قرية بلغارية صغيرة من امرأةٍ، اختلفت عن بقيةٍ الكتابة السلسة والمبطّنة في نقد مجتمعيّ لاذع، تتجاوز القرية إلى بلغاريا كلّها. فيها مكاشفة غير مرغوبة

تسخير معارف فنية لتجسيد مخاوف قرية بلغارية صغيرة

(السيناريو لخريستوف نفسه). التصوير (ايميل كريستوف) رائع في تنقّله بين عراء خارجي وداخل ضيّق. الكاميرا تعرف كيف تنقل المشاعر الإنسانية المضطربة، التي يوصلها أداء تمثيلي يتوزّع على ممثلين يؤدّون أدواراً ثانوية، يُكمِل كلّ واحد منها المشهد المطلوب عرضه بتنويعاتِ مواقف وتصادمات.

فرادة النصّ تمنحه حيوية: ضابط وحدة مراقبة حدود سكّير لا يُبالي بمهمّته، المتمثّلة بإيصال مهاجرين، يتجاوزون حدود بلده، إلى مسؤولي البلدية، ليتكفّلوا هم بشؤونهم. جيران المعلّمة يراقبونها بفضول مَرضيّ. سياسي متنفّذ يستغلّ موقعه للحصول على ما يريده منها، ومسؤولة إدارية لا تعرف ماذا تفعل بالواصلين إليها من «الطرف الثاني» من العالم. كلّ مشهد مرتبطٍ بعلاقة المهاجرين بالإدارة المحلية يثير سخرية وحنقاً على مجتمع لا يراعي حرمة الواصلين إليه، ولا يهتمّ بهم، بقدر ما يهمه تسريع عملية ترحيلهم إلى بلدان رأسمالية، تنسى أنّ البلد اليوم يُعدّ إحداها. تشتدّ المفارقة المُرّة باستنكاف «الغجر» (توصيف يتكرّر في أحاديث أهل القرية عنهم) عن المكوث عندهم.

بفرزه الطبيب المهاجر من مالي عن البقية، ينقل إيفايلو خريستوف نصّه إلى موقع، يغدو فيه المهاجرون وموضوعهم هامشاً، بينما تصير المعلّمة مركزاً وعلامة على اختلافٍ وتحدٍّ، يشيعان خوفاً في أوصال سكّان القرية، أكثر من أولئك العابرين في قريتهم نحو الغرب. لم يأتِ بامبو مع المجاميع المهاجرة. وجدته المعلّمة في غابة وحيداً، فدعته إلى منزلها، حيث تطوّرت علاقة إنسانية بينهما، تتجاوز الموقف المسبق من الغريب والخوف منه، توجزها عبارة لها: «تعبتُ وسئمتُ من الخوف». فيه، وجدتْ الإنسان الذي تشعر معه بالطمأنينة. هو يمنحها الحبّ الغائب عنها منذ وفاة زوجها. يفجّر «خوف»، بسوية العلاقة بين الأبيض والأسود، منابع الخوف، ويمضي أكثر في السخرية من ردود الفعل ضدها، في مشهد سوريالي، تتقدّم فيه وحدة من «القوات الخاصة»، التابعة للجيش، لاقتحام منزلها البسيط. لا يكتفي «خوف» عند هذا الحد، موغلاً باستهزائه من واقع الغرب كلّه، بنقله مشهداً في ختامه، يُظهر المعلّمة والطبيب بومبا معاً في عربةٍ يجرّها حصان إلى الحدود، باتجاه أفريقيا. رحلة عكسية، يتخلّلها إحساس بغرائبية الأقدار، يتعزّز بظهور مفاجئ لبعير يمضي في الطريق نفسها نحو الغرب، وقد اكتسى المشهدُ ألواناً.

لم تعد هناك حاجة إلى إظهار حدّة التنافر (كونتراست) بالأسود والأبيض بعد اليوم. فاللونان في طريقهما إلى عالم آخر، تتعدّد فيه الألوان والأشكال. أهذا مشهدٌ مستقبلي متخيّل، يتعارض مع واقع قاس؟ ربما نعم. لكنّ إيفايلو خريستوف يريد إغاظة البلغاري بنهاية مقترحة، تعاكس خوفاً هشّاً ومتجذّراً فيه، لا يقوى على مواجهة الحبّ.

توثيقٌ فلسطينيّ يدين جرماً إسرائيلياً

نديم جرجوره

يُثير الفيلم الوثائقي نقاشاً دائماً. مفرداته وأقواله وآليات اشتغاله، غربياً وعربياً، تزداد أهمية وجماليات. علاقته بالأرشيف سؤال يُحرّض دائماً على تفكير وتأمّل، فالأرشيف . السرّي الذي يُكشف عنه أو عن بعضه لاحقاً، وغير السرّي لكنْ غير المبثوث أو المنشور أو المتداول . مليء بمواضيع تصلح لإنتاجات كثيرة. الذاكرة والتاريخ يضخّان معطيات ومرويات شفهية، قابلة للتحوّل إلى صُوَر وثائقية، يتفنّن مخرجون كثيرون في صُنعها.

الصراع الفلسطيني مع الكيان الإسرائيلي غير ناضب. أشكاله متنوّعة. بعضه يتّخذ من الأرشيف، المُغلق عليه، مادة حيّة لكشف واقع أو لتأكيد مقولة أو لتثبيت حقيقة. الصُوَر، الفوتوغرافية والمُسجّلة تلفزيونياً أو تسجيلياً، كفيلة بتبيان مخفيّ يُريد الإسرائيلي إخفاءه، بل تغييبه، لترويج رواية يكتبها هو، نصّاً وصُوراً، كما يحلو له. اشتغالات على أرشيفٍ كهذا أداة فعّالة في مزيدٍ من تعرية وحشٍ إسرائيلي صهيوني، رغم أنّ وحشاً كهذا غير مُحتاج إلى أدوات تعرية، فعنفه وبطشه وتزويره مكشوفة كلّها، والأرشيف إضافة موثّقة تؤكّد عنفه وبطشه وتزويره.

نصوصٌ واعترافات موثّقة، يكتبها ويقولها إسرائيليون، جزءٌ أساسيّ من أرشيف تحاول إسرائيل طمسه، بينما يجهد باحثون ومنقّبون ومؤرّخون، إسرائيليون وغير إسرائيليين، في إعادته إلى الضوء. «نهب وإخفاء» (2017) مثلٌ على ذلك (الكتابة عنه نابعةٌ من مُشاهدةٍ متأخّرة له): وثائقي للإسرائيلية رونا سيلع يندرج في إطار التنقيب عن المخبّأ في الأرشيف، الذي يُدين عدواً من خلال أفعاله الجُرمية، وبعض تلك الأفعال يتمثّل بنهب أرشيف فلسطيني مُصوّر، يكشف توثيق الفلسطيني فصول يومياته، منذ ما قبل نكبة 1948 إلى الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982. الأرشيف الفلسطيني منهوبٌ، ففيه إدانةٌ لأفعال جُرميّة إسرائيلية صهيونية، وهذا يقوله ضابط إسرائيلي لن يظهر وجهه أمام الكاميرا، إذْ ينتبه إلى صُور أرشيفية تُذكّره بلحظات نهب ممنهج للأرشيف الفلسطيني من «مركز الأبحاث الفلسطيني» في بيروت، لأنّ جنوداً إسرائيليين يتنبّهون إلى أنّ الصُور الفوتوغرافية، تحديداً، برهان على نضال يومي للفلسطيني، بغير السلاح أيضاً. صُوَر كهذه ملتقطة في أماكن مختلفة في فلسطين المحتلّة، تؤكّد أنّ الفلسطيني يُطارد عدوّه في كلّ مكان، ويوثّق أفعاله الجُرمية في كلّ مكان. نهبٌ كهذا، في مراحله التاريخية المختلفة، يعكس رعب الصهيونيّ الإسرائيليّ من صُور وأشرطة مسجّلة، لأنّها كفيلةٌ بإدانته وتأكيد جرائمه. «نهبٌ وإخفاء» يُبرهن أنّ الصهيونيّ الإسرائيليّ يسرق الصُور وينهب الأرشيف ويتلاعب بالكلمات، وأنّه غير مُتردّد عن تفتيش جثث فلسطينيين يقتلهم، لإخفاء ما يملكونه من صُور، هي جزءٌ من هويتهم وتاريخهم وحكاياتهم. يُبرهن أيضاً أنّ هذا العدوّ يمنح نهب الأرشيف والوثائق وسرقتها وقتاً وجهداً أساسيين في حروبه وجرائمه، لأنّ في أرشيفٍ ووثائق كهذه إدانة مؤكّدة له.

رونا سيلع: أرشفة التوثيق الفلسطيني (يوتيوب)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أقوالهم

لطالما أحببتُ الكوميديا، وخصوصاً الكوميديا الإنكليزية. في السينما الفرنسية، هناك كثيرون يُضحكونني. لكنّي أشعر أنْ لا أحد يريد وضعي في هذه السينما. لذا، أخاف إزاء عدم تمكّني من إقناع المُشاهد بدورٍ كوميديّ لي، مع خوفي من ألا أؤدي أدواري جيداً.

أديل إكساركوبولس

عثرتُ في السينما على الفضاء والضوء. لم أرغب يوماً في أنْ أُخرِج أعمالاً مسرحيّة. بحثتُ كثيراً عن أضواء طبيعية وعن مساحات مفتوحة وعن فضاءات تُبنى في الكادر، لا الفضاء المغلق في صالة. هذه أيضاً فترة من حياتي أشاهد فيها أفلاماً كثيرة، وأكتب فيها كثيراً أيضاً. أريد أنْ أكتب، لكنْ ليس للمسرح.

انجيلا شانلك

نسينا قليلاً صوفيا لورين (الصورة). هذا من دون شكّ لأنّه ينقصها كبار صانعي السينما في «كانّ»، التي تصنعهم أيضاً. ما من فيلّيني لها، ولا فيسكونتي ولا أنتونيوني ولا روسّيليني ولا بازوليني، هذا الخماسيّ الأساسيّ الذي نتعلّمه في المدرسة، والذي نشاهد أعماله مرّة تلو أخرى في صالات الاستعادات السينمائية.

بيار لونّ

أفعالهم

Balloon لبما تْسدن، تمثيل يانغشيك تْسو (الصورة): تعيش دْرولكار وزوجها في هضبة في التيبيت، يرعيان فيها الأغنام ويُربيّان أولادهما الـ3. وكردّ فعلٍ على السياسة الرسمية التي تفرض إنجاب طفل واحد فقط في كلّ عائلة، تتعلّم دْرولكار كيفية منع الحمل، المحرّم في مجتمعها. تحصل سرّاً على عُلبٍ للواقي الذكري، فيلعب أولادها بتلك «البالونات»، ما يُعرّضها لمساءلات كثيرة.

Saint Maud لروز غلاس (الصورة): تعمل مود ممرضة في المنازل. ذات يوم، تعتنق الكاثوليكية الرومانية، فتُصاب بهلعٍ كبير، إذْ تخشى على ذاتها وروحها من عذابِ إصابتها بمسّ شيطانيّ، إنْ تمادت في حبّ أماندا، راقصة الباليه السابقة، التي ترعاها وتهتمّ بها وتبقى طويلاً معها.

De L'or Pour Les Chiens لآنّا كازناف كامبي، تمثيل تالولا كاسّافيتي (الصورة) وجولي دوباردّيو: نهاية الصيف، أنهت إستر (17 عاماً) عملها المؤقّت في مسبح جليدي في مدينة ساحلية. لكنّها أحبّت مراهقاً غادر المدينة منذ وقت، فتُقرّر اللحاق به إلى باريس.

أخبار

◆ ذكرت تقارير صحافية مؤخّراً أنّ هناك ميلاً إلى إقفال صالات سينمائية تابعة للشركة البريطانية «سيني وورلد» نهائيّاً، بسبب كورونا. ونقل كاتبو تلك التقارير، عن عاملين في الإدارة المركزية للشركة، قولهم إنّ رؤساءها «يُفكّرون جدّياً في الإغلاق التام، وفي خفض عدد الوظائف والموظّفين، كمحاولة يائسة لإنقاذ سلسلة دور العرض تلك من تعثّرها الفاضح». ذلك أنّ الشركة أُصيبت بأضرارٍ كبيرة بسبب الوباء، الذي فرض إغلاق صالاتها، وتوقّف صناعة السينما عن العمل أسابيع متتالية، في أشهر مختلفة في عام 2020. وذكرت التقارير أنّ هناك 128 صالة إضافية تابعة لـ«سيني وورلد» أغلقت أبوابها الشهر الماضي، لكنْ «من تلقاء نفسها» هذه المرّة، وليس بقرار أو إيعاز من الحكومة البريطانية. إغلاق كهذا عرّض 5500 شخص لـ«خطر فقدان وظائفهم». بالإضافة إلى ذلك، فإنّ افتقار الصالات وشركاتها الكبيرة (بينها «سيني وورلد») في العالم إلى أفلامٍ جديدة، سببٌ إضافيّ إلى إغلاق بعضها، خصوصاً أنّ الحلقة الأخيرة من سلسلة أفلام جيمس بوند، «لا وقت للموت» لكاري جوجي فوكوناغا، تمّ تأجيل إطلاق عروضها التجارية إلى العام المقبل، علماً أنّ شركات الصالات تنتظر أفلاماً مثله لتأمين أرباحٍ سنوية كبيرة. وذكرت التقارير أنّ الشركة «تُدين بنحو 6 مليارات و200 مليون جنيه استرليني استدانتها لتعويض مالي عن إجراءات الخروج من أزمتها»، ومنها أجور العاملين. أضافت التقارير أنّه حتّى بعد انتهاء الإغلاق، لا تملك الشركة خططاً لإعادة فتح صالاتها المغلقة، كما أنها تجهد في جمع أموالٍ من مستثمرين عديدين، «أو إعادة هيكلة ديونها»، لتجنّب انتهاك شروط القروض.

إلى ذلك، كشفت التقارير نفسها أنّ «سيني وورلد» تعرّضت لانتقادات كثيرة من موظّفيها، «لعدم إخبارهم بالخطط قبل إعلانها»، فهذا «يُلحق ضرراً بالزملاء جميعهم في صالات تابعة للشركة»، كما تردّد بينهم، علماً أنّ موظّفاً عمل 12 عاماً لديها عبّر عن خشيته من فقدان عمله «بسبب الاجراءات الجديدة».